الفجر وصعد عليها قوم ووضعوا السيوف وكسروا الأقفالَ ، فدخل الجيش ، وأول ما عملوه أن وضعوا الرمل في الأبواب ليمنع من غلقها ، وقاتلهم الناس وقتل الأمير ، واستمر القتال طول النهار ، فلما حلّ الظلام خرجوا وقد قتل من الناس الكثير ، ثم باكروا المدينة فقتلوا ونهبوا ، ثم رحلوا إلى الاحساء **(ص ٢٣٩)** وذلك يوم الاثنين ٥ ربيع الثاني ، وتخرب الجامع ومسجد طلحة وأحرق المربد .

وفي سنة ٣١١ هـ ولي البصرة محمد بن عبد الله الفاروقي . وفي سنة ٣١٣ هـ منعت القرامطة من مسابلة العراق والبصرة ، فأمر الخليفة أن تتأهب كل بلدة لحربهم وأصدر بذلك أمره إلى جميع الولاة .

وفي سنة ٣١٦ هـ ولي على البصرة ابنُ رائق ، فدافع القرامطةَ أشد الدفاع ، فأعلنت القرامطةُ بأنه إذا لم يفسح لهم بمسابلة العراق فانهم يمنعون الحجاج عن الحج ، ويقتلون كلّ من يظفرون به .

وهكذا عانت البصرة في تلك الحقبة من الولايات ما تضيق منها النفوس والصدور ، فلا تهدأ برهة حتى تضطرب ، فهي بين سكون قليل واضطراب كثير حرمها نصيبها من الطمأنينة والسلام . فكم رأى المهاجر أحمد من تلك الفظائع على مدينته وعلى العراق كله منذ أن شبّ إلى أن كهل .

« وبعدها بدأت الحياة العلمية تدبّ فيها ، ولكنها لا كما فاضت من قبل ، فقد جاء ان المسجد حوى بعد ذلك عدداً لا يُستهان به من الشيوخ ومن العلماء والزهاد زمناً يسيراً ، أي إلى حدود سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦ م) »
(كتاب مسجد جامع البصرة الكبير للشيخ عبد القادر باش أعيان ص ٢٥) .